# الجزء الثامن عشر

## سـورة المؤمنون

هى مكية وقد نزلت بعد سورة الأنبياء ، وعدد آيها ثمانى عشرة ومائة .

وقد روى أن بعض الصحابة قالوا لعائشة : كيف كان خُلُق رسول الله ؟ قالت: كان خلقه القرآن ، ثم قرأت : « قد أفلح المؤمنون ـ حتى انتهت إلى ـ والذين هم على صلواتهم يحافظون » هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ووجه المناسبة بينها و بين ما قبلها من وجوه :

(١) إنه تعالى ختم السورة السابقة بخطاب المؤمنين وأمرهم بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة وفعل الخيرات لعلهم يفلحون ـ وحقق فلاحهم فى بدء هذه السورة .

(٢) إنه تكلم فى كل من السورتين فى النشأة الأولى وجعل ذلك دليلا على البعث والنشور .

(٣) إن فى كل من السورتين قصصا للأنبياء الماضين وأممهم وقد ذكره عبرة للحاضرين .

(٤) إنه نصب فى كل منهما أدلة على وجود الخالق ووحدانيته .

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

## شرح المفردات

الفلاح : الظفر بالمراد ، وأفلح : دخل فى الفلاح ؛ كأبشر دخل فى البشارة ، والمؤمن : هو المصدق بما جاء عن ربه على لسان نبيه من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ، والخاشع : هو الخاضع المتذلل مع خوف وسكون للجوارح ، واللغو : هُجْر القول وقبيحه ، والزكاة : تزكية النفس وطهارتها بفعل العبادة المالية . والفرج : سوءة الرجل والمرأة ، وحفظه : التعفف عن الحرام ، وابتغى : طلب ، وراء ذلك : أى غير ذلك ، والعادون : أى المتناهون فى العدوان ومجاوزة الحدود الشرعية ، والأمانات : واحدها أمانة ، وهى ما ائتمن المرء عليه من قِبَل الله كالتكاليف الشرعية ، أومن قِبَل الناس كالأموال المودعة لديه والنذور والعقود ونحوها ، والعهد : ما عقده الإنسان على نفسه مما يقربه إلى ربه ، وما أمر به الله كما قال : « الذين قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا » والرعى : الحفظ . والراعى : القائم على الشىء لحفظه وإصلاحه ، يحافظون : أى يواظبون عليها ، والفردوس : أعلى الجنة .

# الإيضاح

حكم الله سبحانه بالفلاح لمن كان جامعا لخصال سبع من خصال الخير :

(١) الإيمان ( قد أفلح المؤمنون ) أى فاز وسعد المصدقون بالله ورسله واليوم الآخر .

(٢) الخشوع فى الصلاة ( الذين هم فى صلاتهم خاشعون ) أى الذين هم مخبتون لله أذلاء منقادون له خائفون من عذابه ، روى الحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعا بصره إلى السماء ، فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره إلى نحو مسجده أى موضع سجوده ، والخشوع واجب على المرء فى الصلاة لوجوه :

( ا ) للتدبر فيما يقرأ كما قال : «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» والتدبر لا يكون بدون الوقوف على المعنى كما قال : « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » أى لتقف على عجائب أسراره و بديع حكمه وأحكامه .

(ب) لتذكر الله والخوف من وعيده كما قال : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى » .

(ح) إن المصلى يناجى ربه ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ، ومن ثم قالوا : صلاة بلا خشوع جسد بلا روح ، وجمهور العلماء على أن الخشوع ليس شرطا للخروج من عهدة التكليف وأداء الواجب ، و إنما هو شرط لحصول الثواب عند الله و بلوغ رضوانه .

(٣) الإعراض عن اللغو ( والذين هم عن اللغو معرضون ) أى والذين يعرضون عن كل ما لا يعنيهم وعن كل كلام ساقط حقُّهُ أن يُلغَى كالكذب والهزل والسب ، إذ لهؤلاء من الجد ما يشغلهم ، فهم فى صلاتهم معرضون عن كل شىء إلا عن خالقهم ، وفى خارجها معرضون عن كل ما لا فائدة فيه ، فهم متجهون للجد وصالح العمل ، فهم قد استفادوا من خشوع الصلاة درسا انتفعوا منه بعدها ، وتخلقوا بأخلاق النبيين والصديقين .

(٤) تطهيرهم لأنفسهم بأداء الزكاة ( والذين هم للزكاة فاعلون ) أى والذين هم لأجل طهارة أنفسهم وتزكيتها يؤدون المفروض للفقير والمسكين كما قال : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » وقال : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » .

(٥) حفظ الفرج ( والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ) أى والذين يحفظون فروجهم فى كافة الأحوال إلا فى حال تزوجهم أو تسرّيهم ( قربان الأمة بالملك ) فإنهم حينئذ يكونون غير ملومين ، والمراد بهذا الوصف مدحهم بنهاية العفة والإعراض عن الشهوات .

( فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) أى فمن طلب غير أربع من الحرائر وما شاء من الإماء فأولئك هم المتناهون فى العدوان والمتعدّون لحدود الله .

(٦) رعاية الأمانة والعهد ( والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ) أى والذين إذا أئتمنوا لم يخونوا بل يؤدون الأمانة لأهلها ، و إذا عاهدوا أو عاقدوا أوفَوْا بما عاهدوا عليه ، إذ الخيانة وخلف العهد من صفات المنافقين كما جاء فى الحديث : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا أئتمن خان » .

وقصارى ذلك — إنهم يؤدون ما أئتمنوا وعوهدوا عليه من الرب أو العبد كالتكاليف الشرعية والأموال المودعة والعقود التى عاقدوا الناس عليها .

(٧) المحافظة على الصلوات ( والذين هم على صلواتهم يحافظون ) أى والذين يواظبون عليها على أكمل وجه فى الأوقات التى رسمها الدين ، روى عن ابن مسعود أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال: الصلاة على وقتها ، قلت ثم أىٌّ ؟ قال برّ الدين، قلت ثم أىٌّ ؟ قال الجهاد فى سبيل الله » رواه الشيخان .

وقد افتتح سبحانه هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة ، دلالة على عظيم فضلها ، وكبير مناقبها ، وقد ورد فى الحديث : «اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

ولما كان الجزاء فى الآخرة نتيجة للعمل فى الدنيا ، وما فيها من نعيم حصادٌ لما زرع فيها ، رتب على ذلك قوله :

( أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ) أى أولئك المؤمنون الذين تحلوا بتلك الخلال السامية جديرون بأن يتبوءوا أرفع مراتب الجنات كِفاء ما زينوا به أنفسهم من الأخلاق الفاضلة ، والآداب العالية ، ويبقون خالدين فيها أبدا لايخرجون منها ولا يموتون .

وقصارى ما سلف — إن فلاح المؤمن موقوف على اتصافه بتلك الصفات السامية العالية القدر ، العظيمة الأثر فى حياته الروحية ، وكمالاته النفسية ، روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى يسمع عند وجهه دويّ كدوىّ النحل ، فأنزل عليه يوما فمكث ساعة ثم سرّى عنه فاستقبل القبلة فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا ، ثم قال لقد أنزل علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ : قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر » .

---

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) .

## شرح المفردات

السلالة : ما سلّ من الشىء واستخرج منه ، وتارة تكون مقصودة كخلاصات الأشياء كالزبد من اللبن ، وتارة تكون غير مقصودة كقُلامة الظفر وكُناسة البيت

وقرار : أى مستقر ، مكين : أى متمكن ، والعلقة : الدم الجامد ، والمضغة : قطعة اللحم قدر ما يمضغ ، تبارك الله : أى تعالى وتقدس .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أحوال السعداء المفلحين ـ قفى على ذلك بذكر مبدئهم ومآل أمرهم وأمر غيرهم من بنى الإنسان ، وفى هذا إعظام للمنة وحث على الاتصاف بحميد الصفات وتحمل مئونة التكاليف ، ثم ذكر أن كل ذلك منتهٍ إلى غاية هى يوم القيامة الذى تبعثون وتحاسبون فيه على أعمالكم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

## الإيضاح

( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ) أى ولقد خلقنا أصل هذا النوع وأول أفراده ، وهو آدم عليه السلام من صفوة طين لا كدر فيه .

ويرى جماعة من المفسرين : أن المراد بالإنسان هنا ولد آدم وهم يقولون : إن النطف تتوالد من الدم الحادث من الأغذية وهى إما حيوانية وإما نباتية ، والحيوانية تنتهى إلى نباتية ، والنبات يتوالد من صفو الأرض والماء ، فالإنسان على الحقيقة متوالد من سلالة من طين ، ثم تواردت على تلك السلائل أطوار الخلقة إلى أن صارت نطفا .

( ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ) أى ثم جعلنا نسله نطفا فى أصلاب الآباء ، ثم قذفت إلى الأرحام فصارت فى حرز حصين من وقت الحمل إلى حين الولادة .

ونحو الآية قوله : « أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ » .

( ثم خلقنا النطفة علقة ) أى ثم حولنا النطفة من صفتها الثانية إلى صفة العلقة وهى الدم الجامد .

( فخلقنا العلقة مضغة ) أى ثم جعلنا ذلك الدم الجامد مضغة أى قطعة لحم بمقدار ما يمضغ .

( فخلقنا المضغة عظاما ) أى فصيرناها كذلك ، وميزنا بين أجزائها ، فما كان منها من العناصر الداخلة فى تكوين العظام جعلناه عظاما ، وما كان من مواد اللحم جعلناه لحما ، والمواد الغذائية شاملة لذلك ومنبثة فى الدم ، ومن ثم قال :

( فكسونا العظام لحما ) وقد جعل اللحم كسوة لها ، من قبل أنه يستر العظام فأشبه بالكسوة الساترة للجسم .

( ثم أنشأناه خلقا آخر ) مباينا للخلق الأول ، إذ نفخنا فيه الروح وجعلناه حيوانا بعد ما كان أشبه بالجماد ، ناطقا سميعا بصيرا وأودعنا فيه من الغرائب ظاهرها وباطنها ما لا يحصى .

وقد قال العلماء : إن جميع أعضاء الإنسان مقسمة تقسيما دقيقا على نسب معينة مقيسة بشبره ، فطوله ثمانية أشبار بشبره ، وإذا مدّ يديه إلى أعلى كان عشرة أشبار بقياسه ، وإذا مد يديه إلى الجانبين كان طولها كطوله على السواء ، ومن ثم جعل المصريون أصل المقاييس الشبر ، وجعلوا كل ضلع من أضلاع الهرم الأكبر بالجيزة ألف شبر بشبر الإنسان .

( فتبارك الله أحسن الخالقين ) أى فتنزه ربنا جلت قدرته ، وهو أحسن المقدرين المصورين .

عن أنس قال : قال عمر « وافقت ربى فى أربع ، قلت يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصَلًى » وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا فإنه يدخل عليك البر والفاجر فأنزل الله «وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ » وقلت لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم لتنتهن أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن فنزلت « عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ » الآية ونزلت «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ ـ إلى قوله ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فقلت فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ياعمر أخرجه الطيالسى .

( ثم إنكم بعد ذلك لميتون ) أى ثم إنكم بعد النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت .

(ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) من قبوركم للحساب ثم المجازاة بالثواب والعقاب ، إذ يوفى كل عامل جزاء عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وخلاصة ماتقدم — إنه تعالى بعد أن ذكر أنه كلف عباده بما كلف — بين أن هذه التكاليف شكر من الإنسان لربه الذى أنشأه النشأة الأولى وقلّبه فى أطوار مختلفة حتى أوصله إلى طور هو غاية كماله فأصبح قادرا على تكليفه بتلك التكاليف ، ولابد له من طور يستحق فيه الجزاء على ما كلف به وهو طور البعث بعد الموت يوم القيامة .

---

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)

## شرح المفردات

الطرائق : السموات واحدها طريقة أى مطروق بعضها فوق بعض ؛ من قولهم طارق بين ثوبين : إذا لبس ثوبا فوق ثوب ، قال الخليل والزجاج : وهـذا كقوله « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا » وقوله : « اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا » والخلق : أى المخلوقات التى منها السموات السبع ، غافلين : أى مهملين أمرها كما قال : « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه خلق الإنسان فى أطواره المختلفة واستدل بذلك على قدرته وتفرده بالتصرف فى الملك والملكوت ـ أردفه ببيان ما يحتاج إليه فى بقائه لما فيه من المنافع التى لاغنى له عنها .

## الإيضاح

( ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ) أى ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض وهى أيضا طرق الكواكب المعروفة عند البشر قديما ، وهناك طرائق أخرى عرفها الناس حديثا :

( وما كنا عن الخلق غافلين ) أى وما كنا عن المخلوقات ـ سواء كانت هذه الطرائق أو غيرها ـ غافلين عن أمرها ، إذ تسير الكواكب فى تلك الطرائق بحساب منتظم ، ولو أهملناها لاختل توازنها وسار كل كوكب فى غير مداره أو زل نجم عن سنن سيره ، ففسد النظام العام للعالم العلوى والعالم الأرضى .

والخلاصة — إنا خلقنا السموات لمنافعهم ، ولسنا غافلين عن مصالحهم ، بل نفيض عليهم ماتقتضيه الحكمة ، فخلقها دال على كمال قدرتنا ، وتدبير أمرها دال على كمال علمنا .

---

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠) .

## شرح المفردات

السماء : هنا السحاب ، بقدر : أى بتقدير خاص وهو مقدار كفايتهم ، فأسكناه فى الأرض : أى جعلناه ثابتا قارا فيها ، والذهاب : الإزالة إما بإخراجه من المائية أو بتغويره فى الأرض بحيث لا يمكن استخراجه ، والشجرة : هى الزيتون ، وطور سيناء : هو جبل الطور الذى ناجى فيه موسى ربه ويسمى طور سينين أيضا ، والصبغ : ما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام ، قال فى المُغْرب : يقال صبغ الثوب بصِبغ حسن وصباغ حسن ، ومنه الصِّبغ والصباغ من الإدام لأن الخبز يغمس فيه ويلوّن به كالخل والزيت .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن من دلائل قدرته خلق الطرائق السبع ـ قفى على ذلك ببيان ما فيها من منافع للإنسان ، فمنها ينزل الماء الذى به تنشأ الجنات من النخيل والأعناب وكثير من أشجار الفاكهة التى تؤكل ، وينبت به شجر الزيتون الذى يؤخذ من ثمره الزيت الذى يتخذ دهنا للأجسام ، وإداما فى الطعام .

## الإيضاح

( وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض ) أى وأنزلنا من السحاب مطرا بقدر الحاجة ، لا هو بالكثير فيفسد الأرض ، ولا هو بالقليل فلا يكفى الزرع والثمار ، حتى إن الأرضين التى تحتاج إلى ماء كثير لزرعها ولا تحتمل تربتها إنزال المطر عليها يساق إليها الماء من بلاد أخرى كما فى أرض مصر ، ويقال لمثلها ( الأرض الجرز ) فيساق إليها ماء النيل حاملا معه الطين الأحمر ( الغِرْيَن ) يجترفه من بلاد الحبشة فى زمن الأمطار فيستقر فيها ويكون سمادا لها ونافعا لزرعها .

و بعض هذا الماء يسكن فى الأرض فيتغذى به ما فيها من الحب والنوى ، ومنه

تتكون الآبار والعيون التى تمر على معادن مختلفة ، فتتشكل بأشكالها وتتصف بصفاتها فيكون ماؤها حاويا إما للنوشادر و إما للكبريت و إما للأملاح وهكذا .

( و إنا على ذهاب به لقادرون ) أى و إنا على ذهابه وإزالته لقادرون بحيث يتعذر استخراجه ، كما كنا قادرين على إنزاله ، ولو شئنا ألا يمطر السحاب لفعلنا ، ولوشئنا لصرفناه عنكم إلى جهات أخرى لاتستفيد منه كالأرضين السبخة والصحارى، ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فى الأرض يغور فيها إلى مدى بعيد لاتصلون إليه ولا تنتفعون به ، ولكن بلطفنا ورحمتنا ننزل عليكم الماء العذب الفرات ونسكنه فى الأرض ونسلكه ينابيع فيها لتسقوا به الزرع والثمار وتشربوا منه أنتم ودوابكم وأنعامكم .

( فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب ) أى فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء بساتين فيها نخيل وأعناب .

( لكم فيها فواكه كثيرة ) أى لكم فى الجنات فواكه كثيرة تتمتعون بها زيادة على ثمرات النخيل والأعناب .

( ومنها تأكلون ) أى ومن زروع الجنات وثمارها ترزقون وتحصلون معايشكم ، كما يقال فلان يأكل من حرفة يحترفها ، ومن تجارة يتربح بها أى إنها طُعمته وجهته التى منها يحصّل رزقه .

( وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ) أى وأنشأنا لكم شجرة الزيتون التى تنبت فى هذا الجبل بتلك البقعة المباركة وتثمر زيتونا تصنع منه الزيوت التى يدّهن بها وتتخذ إداما للآكلين .

---

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكرنا سبحانه بنعمة إنزال الماء من السماء الذى ينبت به جنات النخيل والأعناب والفواكه المختلفة والزيتون ـ أردفها بذكر النعم المختلفة التى سخرها لنا من خلق الحيوان .

## الإيضاح

( وإن لكم فى الأنعام لعبرة ) أى إن فى خلق الأنعام لعبرة فضلا عن كونها نعمة ، ووجه العبرة فيها أن الدم المتوالد من الأغذية يتحول فى الغدد التى فى الضرع إلى شراب طيب لذيذ الطعم صالح للتغذية، وهذا من أظهر الدلائل على قدرة الخالق لها.

ثم فصل منافعها وذكر منها أربعا فقال :

(١) ( نسقيكم مما فى بطونها ) فتنتفعون بألبانها على ضروب شتى ، فتتخذون منها القشدة والسمن والجبن ونحوها .

(٢) ( ولكم فيها منافع كثيرة ) فتأخذون أصوافها وأشعارها وأوبارها ، وتتخذونها ملابس وفرشا للدفء و بيوتا فى الصحارى ونحوها مما يجرى هذا المجرى .

(٣) ( ومنها تأكلون ) أى وتأكلون منها بعد ذبحها ، فكما انتفعتم بها وهى حية تنتفعون بها بعد الذبح بالأكل .

(٤) ( وعليها وعلى الفلك تحملون ) أى وتركبون ظهورها وتحملونها الأحمال الثقيلة إلى البلاد النائية كما قال فى آية أخرى : « وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ » وقال : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ؟ » .

وقصارى ذلك — إن فى خلق الأنعام عبرا ونعما من وجوه شتى ، ففيه دلائل

على قدرة الخالق بخلق الألبان من مصادر هى أبعد ماتكون منها ـ ونعما لنا فى مرافقها وأعيانها ، فنتنفع بألبانها وأصوافها ولحومها ونجعلها مطايا لنا فى أسفارنا إلى نحو أولئك من شتى المنافع .

## قصة نوح عليه السلام

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلاَ تَتَّقُونَ ؟ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً ، مَا سَمِعْنَا بِهذَا فِى آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِى ذلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) .

## شرح المفردات

الملأ : أشراف القوم ، يتفضل : أى يدعى الفضل والسيادة ، جنة : أى جنون ، فتربصوا : أى انتظروا ، بأعيننا : أى بحفظنا ورعايتنا ، وفار : نبع ، والتنور : وجه

الأرض ، استويت : أى علوت ، لآيات : أى عبرا ، لمبتلين : أى لمختبرين ممتحنين لهم : أى لمعامليهم معاملة من يختبر .

## المعنى الجملى

بعد أن عدّد سبحانه ما أنعم به على عباده فى نشأتهم الأولى وفى خلق الماء لهم لينتفعوا به ، وفى خلق الحيوان كذلك ـ ذكر هنا أن كثيرا من الأمم قد أهملوا التدبر والاعتبار فى هذا ، فكفروا بهذه النعم وجهلوا قدر المنعم بها وعبدوا غيره ، وكذبوا رسله الذين أرسلوا إليهم فحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، وأهلكهم الله بعذاب من عنده فأصبحوا كأمس الدابر ، والمثل السائر ، وفى هذا تخويف لقريش وإنذار لهم على مايفعلون ، وأنه سيحل بهم ماداموا على تكذيب رسولهم والكفر به مثل ماحل بمن قبلهم .

## الإيضاح

( ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ) أى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه منذرا لهم عذاب الله وشديد بأسه وانتقامه على إشراكهم به وتكذيب رسوله ، فقال لهم متعطفا عليهم مستميلا لهم لقبول الحق : يا قوم اعبدوا الله وحده وأطيعوه ولا تشركوا معه ربا سواه ، فإنه لارب لكم غيره ولا معبود سواه .

( أفلا تتقون ؟ ) أى أفلا تخشون عقاب الله فتحذروا أن تعبدوا معه سواه ؟ .

( فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ) أى فقال أشراف قومه ورؤساؤهم من العريقين فى الكفر ومن ذوى الكلمة المسموعة والرأى المطاع : ما نوح إلا رجل منكم ليس له ميزة عليكم فى فضل ولا خلق فيكون أهلا للنبوة وتلقى الوحى من ربه ، وما هو إلا رجل يريد أن يسودكم ويكون

ويكون له الصَّوْلة والسلطان عليكم ، وقد ادعى الرسالة ليصل إلى ما تصبو إليه نفسه وليس له من حقيقتها شىء .

و بعد أن بينوا أن لامقتضى لاختصاصه بالنبوة ذكروا الموانع التى تحول بينه و بينها فذكروا أمورا ثلاثة :

(١) ( ولو شاء الله لأنزل ملائكة ) أى ولو شاء الله ألا نعبد سواه لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدى إليكم رسالته .

(٢) ( ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ) أى ما سمعنا فى القرون الغابرة عهود الآباء والأجداد بمثل هذا الذى يدعو إليه نوح من أنه لا إله إلا إله واحد لاربّ غيره ولامعبود سواه .

وفى هذا إيماء إلى أنهم قوم لا رأى لهم ، وإنما يعولون على التقليد وقول الآباء والأجداد ، فلما لم يجدوا عن آبائهم شيئا مثل هذا أنكروا نبوّته ، وفيه إشارة أيضا إلى أنهم قد بلغوا الغاية فى العناد والتكذيب والانهماك فى الغى والضلال .

(٣) ( إن هو إلا رجل به جنة ) أى وما نوح إلا رجل به خَبَل فى عقله ، فمزاعمه لاتصدر إلا من رجل لايزن قوله، ولا يدعم رأيه بالحجة الناصعة ، فلا يلتفت إذًا إلى ما يدعى ، ولا ينبغى أن نضيع الوقت فى محاجته ، ودحض مزاعمه ، فى صدق دعوته .

و بعد أن ذكروا موانع نبوّته ذكروا الطريقة المثلى فى إبطال دعوته فقالوا :

( فتربصوا به حتى حين ) أى فتلبثوا وانتظروا لعله يضيق مما هو فيه فيعود سيرته الأولى ويرجع من تلقاء نفسه إلى دينكم ودين آبائكم وأجدادكم .

وهذا من مكابراتهم لفرط عنادهم إذ هم يعلمون أنه أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا .

ولم يردّ سبحانه على هذه الشبه لسخافتها ووضوح فسادها ، إذ كل عاقل يعلم أن الرسول يتميز من غيره بالمعجزات التى تأتى على يديه سواء أكان ملكا أم بشرا ،

و إرادته التفضل عليهم إن كانت لأجل أن يستبين فضله حتى ينقادوا له فلا ضير فى ذلك بل هو واجب ، و إن أرادوا أنه يبغى التجبر عليهم فالأنبياء منزهون عن ذلك ، وقولهم : ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين، اعتناق للتقليد وهو لا يصلح حجة تدفع بها حجج المعارضين الواضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار ، وقولهم : به جنة كذب صراح ، لأنهم يعلمون ذكائه وعظيم فطنته وما أوتيه من أصالة الرأى وثاقب الفكر.

ولما استبان لنوح إصرارهم على ضلالهم وتماديهم فى غيهم و يأسه من إيمانهم وأوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ـ طلب إلى ربه أن ينصره عليهم :

( قال رب انصرنى بما كذبون ) أى قال رب انصرنى بإنجاز ما أوعدتهم به من العذاب بقولى « إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » .

ونحو الآية قوله : « فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ » وقوله : « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً » .

وقد أجاب الله دعاءه فقال :

( فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ) أى فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه : اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا لك من التعدى عليك وتعليمنا إياك كيفية صنعها .

( فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ) أى فإذا جاء قضاؤنا فى قومك بعذابهم وهلاكهم ونبع الماء من وجه الأرض ـ فأدخل فيها من كل طائفة من الحيوان فردين مزدوجين كناقة وجمل وحصان وحمار ، وأدخل ولدك ونساءهم إلا من سبق عليه القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك فلا تحمله معك وهو كنعان وأمه .

( ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ) أى ولا تسألنى أن أنجى الذين كفروا بالله من الغرق . فإن كلمتى قد حقت عليهم أجمعين .

ثم أمره بحمده والثناء عليه إذا هو استوى على الفلك فقال :

( فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ) أى فإذا اطمأننت فى السفينة أنت ومن معك ممن حملته من أهلك ، فقل الحمد لله الذى نجانا من هؤلاء المشركين الظلمة .

وفى هذا إيماء إلى أنه لاينبغى المسرة بمصيبة أحد ولو عدوّا إلا إذا اشتملت على دفع ضرره أو تطهير الأرض من دنس شركه وإضلاله .

قال ابن عباس : كان فى السفينة ثمانون إنسانا نوح وامرأته غير التى غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون إنسانا ، وكل الخلائق من نسل من كان فى السفينة .

ثم أمر نوح أن يدعو ربه حين خروجه من السفينة .

( وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ) أى وقل إذا سلمت وخرجت من السفينة : رب أنزلنى من الأرض منزلا مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل .

قال قتادة : علمكم الله أن تقولوا حين ركوب السفينة : « بِاسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا » وحين ركوب الدابة : « سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » وحين النزول : « وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ » .

( إن فى ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين ) أى إن فيما فعلنا بقوم نوح من إهلاكهم إذ كذبوا رسولنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام ـ لعبرا لقومك من مشركى قريش ، وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنننا فى أمثالهم فينزجرون عن كفرهم ، ويرتدون عن تكذيبهم حذر أن يصيبهم مثل الذى أصاب من قبلهم من العذاب ، وقد كنا مُخْتَبِريهم بالتذكير بهذه الآيات لننظر ماذا يفعلون قبل أن ننزل بهم عقوبتنا .

ونحو الآية قوله : « وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » وقد تقدم هذا القصص بتفصيل فى سورة هود عليه السلام .

## قصة هود عليه السلام

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) .

## شرح المفردات

القرن : الأمة ، والمراد بهم عاد قوم هود لقوله تعالى فى سورة الأعراف : « وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ » أترفناهم : أى وسعنا عليهم وجعلناهم فى ترف ونعيم ، لخاسرون : أى لمغبونون فى آرائكم إذ أنكم أذللتم أنفسكم

لعبادة من هو دونكم ، هيهات : أى بعد ، ما توعدون : هو البعث والحساب ، بمؤمنين : أى بمصدقين ، عما قليل : أى بعد زمان قليل ، ليصبحنّ : أى ليصيرنّ ، والصيحة : العذاب الشديد كما قال :

صاح الزمان بآل بَرْمَكَ صيحة خرّوا لشدتها على الأذقان

والغثاء : ما يحمله السيل من الورق والعيدان البالية التى لاينتفع بها ، بعدا : أى هلاكا .

## الإيضاح

( ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ؟ ) أى ثم أوجدنا من بعد مهلك قوم نوح قوما آخرين وهم عاد فأرسلنا فيهم رسولا منهم ، وهو هود عليه السلام داعيا لهم قائلا : ياقوم اعبدوا الله وأطيعوه دون الأوثان والأصنام ، فإن العبادة لاتنبغى إلا له ولا تصلح لسواه ، أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره من وثن أو صنم ؟ .

( قال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ) أى وقال أشراف قومه الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا بالبعث والحساب ، وقد وسعنا عليهم فى الحياة الدنيا بما بسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا وكفروا بربهم : ما هود إلا بشر مثلكم لاميزة له عنكم، فهو يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون، ومرادهم بذلك توهين أمره وتحقير شأنه .

( ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون ) أى ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول : إنكم إذًا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة فى الدنيا .

ثم بينوا سبب إنكارهم لاتباعه واستبعادهم وقوع ما يدعيه بقولهم :

( أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ) أى أيعدكم أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم أولا إذا متم وكنتم ترابا فى القبور بعد أن تذهب لحومكم وتبقى عظامكم .

( هيهات هيهات لما توعدون ) أى بعيد ما توعدون أيها القوم من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما تخرجون من قبوركم للبعث والحساب ثم الجزاء على ما تعملون .

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهم :

( إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ) أى ما حياة إلا هذه الحياة فى الدنيا ، تموت الأحياء منا فلا تحيا ، ويحدث آخرون منا ويولدون ، وما نحن بمبعوثين بعد الموت ، إنما مثلنا مثل الزرع يحصد هذا وينبت ذاك .

والخلاصة — إنه يموت منا من هو موجود وينشأ آخرون بعدهم .

وبعد أن كان أمرهم معه مقصورا على الاستبعاد فحسب ، جاهروا بتكذيبه فيما يدعى فقالوا :

( إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ) أى ما هود إلا رجل يختلق الكذب على الله ، فتارة يقول : مالكم من إله غير الله خالق السموات والأرض ، وأخرى يقول : إنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون ، وما نحن بمصدقيه فيما يدعى ويزعم من التوحيد والبعث .

ولما يئس هود من إيمانهم بعد ذكر هذه المقالة « وما نحن له بمؤمنين » فزع إلى ربه .

( قال رب انصرنى بما كذبون ) أى قال بعد أن يئس من إيمانهم وقد سلك فى دعوتهم كل مسلك ، متضرعا إلى ربه : رب انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بتكذيبهم إياى فيما دعوتهم إليه من الحق وإصرارهم على الباطل .

فأجابه ربه إلى ما سأل .

( قال عما قليل ليصبحن نادمين ) أى قال تعالى مجيبا دعاءه : ليصيرنّ مكذبوك بعد زمن قليل نادمين على ما فعلوا ، وستحل بهم نقمتنا ولا ينفعهم الندم حينئذ .

ثم أخبر أنه أنجز وعيده فيهم فقال :

( فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء ) أى فسلطنا عليهم نقمتنا فأخذهم العذاب الذى لا قِبَل لهم به ، وقد كانوا لمثله مستحقين ، بسبب كفرهم وتكذيبهم برسوله ، فجعلناهم كغثاء السيل ، لاغناء فيهم ، ولا فائدة ترجى منهم .

( فبعدا للقوم الظالمين ) أى فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم ، إذ كفروا بربهم وعصوا رسوله وظلموا أنفسهم .

وفى هذا من الذلة والمهانة لهم والاستخفاف بأمرهم ما لايخفى ، وأن الذى ينزل بهم فى الآخرة من البعد من النعيم والثواب أعظم مما حل بهم من العقاب فى الدنيا، وفيه عظيم العبرة لمن بعدهم ممن هم عرضة لمثله .

---

## قصص صالح ولوط وشعيب وغيرهم

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ، كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ (٤٤) .

## شرح المفردات

تترى ، من المواترة : وهى التتابع بين الأشياء مع فترة ومهلة بينها قاله الأصمعى .

أحاديث : واحدها أحدوثة، وهى مايتحدث به تعجبا منه وتلهيا به، وقدجمعت العرب

ألفاظا على أفاعيل كأباطيل وأقاطيع ، وقال الزمخشرى : الأحاديث اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الجمهور على أنه جمع كما علمت .

## الإيضاح

( ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ) أى ثم أنشأنا من بعد هلاك عاد أقواما آخرين كقوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم .

( ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ) أى ما تتقدم أمة من تلك الأمم المهلكة ، الوقت الذى قدّر لهلاكهم وما يستأخرون عنه .

والخلاصة — ما تهلك أمة قبل مجىء أجلها ولا بعده ، فلكل شىء ميقات لا يعدوه .

( ثم أرسلنا رسلنا تترى ) أى ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين وقد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولا خاصا به ، بعضهم فى إثر بعض .

( كلما جاء أمة رسولها كذبوه ) أى كلما بلّغهم الرسول ما جاء به من عند ربه من الشرائع والأحكام كذبوه ، كما فعل قومك بك حين أمرتهم بذلك .

( فأتبعنا بعضهم بعضا ) أى فأهلكنا بعضهم فى إثر بعض حين تألّبوا على رسلهم وكذبوهم .

( وجعلناهم أحاديث ) يتحدث بها الناس ويتلهون بذكرها .

ونحو الآية قوله : « فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » .

ولما ترتب على تكذيبهم الهلاك المقتضى لبعدهم قال :

( فبعدا لقوم لا يؤمنون ) أى فأبعد الله قوما لا يؤمنون به ولا يصدقون برسوله.

## قصة موسى وهرون عليهما السلام

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ

لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) .

## شرح المفردات

الآيات : هى الآيات التسع التى سبقت فى سورة الأعراف ، والسلطان : الحجة عالين : أى متكبرين ، عابدون : أى خدم منقادون ، قال أبو عبيدة : العرب تسمى كل من دان للملك عابدا، وقال المبرد: العابد : المطيع الخاضع ، الكتاب : هو التوراة.

## الإيضاح

(ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ) أى ثم أرسلنا بعد الرسل الذين قد تقدم ذكرهم من قبل ـ موسى وأخاه هرون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بالآيات والحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، فاستكبروا عن اتباعهما والانقياد لما أمروا به ودعوا إليه من الإيمان وترك تعذيب بنى إسرائيل كما جاء فى سورة النازعات : «اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » وقد كان من دأبهم العتوّ والبغى على الناس وظلمهم كبرا وعلوا فى الأرض .

ثم ذكر ما استتبعه هذا العتو والجبروت .

( فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟ ) أى فقال فرعون وملؤه : كيف ندين لموسى وأخيه ، و بنو إسرائيل قومهما خدمنا وعبيدنا يخضعون لنا و يتلقون أوامرنا .

وما قصدوا بهذا إلا الزراية بهما والحط من قدرهما ، و بيان أن مثلهما غير جدير بمنصب الرسالة ، وقد قاسوا الشرف الدينى والإمامة فى تبليغ الوحى عن الله بالرياسة الدنيوية المبنية على نيل الجاه والمال .

وهم فى هذا أشبه بقريش إذ قالوا : « لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » وقد فاتهم أن مدار أمر النبوة والاصطفاء للرسالة إنما هو السبق فى الفضائل النفسية والصفات السنية التى يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ، فالأنبياء لصفاء نفوسهم يتصلون بالعالم العلوى وعالم المادة فيتلقون الوحى من الملأ الأعلى و يبلغونه إلى البشر ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل والانقطاع إلى حضرة الحق .

و إن تعجب من شىء فاعجب لهؤلاء وأمثالهم ممن لم يرض النبوة للبشر ، كيف سوغت لهم أنفسهم ادعاء الألوهية للحجر : « فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » .

ثم ذكر عاقبة أعمالهم وما آل إليه أمرهم فقال :

( فكذبوهما فكانوا من المهلكين ) أى فأصر فرعون وملؤه على تكذيب موسى وهرون فأهلكهم الله بالغرق فى بحر القُلْزُم ( البحر الأحمر ) كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبهم لرسلهم .

ثم ذكر ما أولاه موسى بعد هلاكهم من التشريف والتكريم فقال :

( ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ) أى ولقد أنزلنا على موسى التوراة وفيها الأحكام من الأوامر والنواهى بعد أن أهلكنا فرعون وملأه وأخذناهم أخذ عزيز مقتدر رجاء أن يهتدى بها قومه إلى الحق و يعملوا بما فيها من الشرائع .

---

## قصص عيسى عليه السلام إجمالا

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) .

## شرح المفردات

الآية : الحجة والبرهان ، وآويناهما : أى جعلنا مأواهما ومنزلهما الربوة وهى ما ارتفع من الأرض دون الجبل ، ذات قرار : أى ذات استقرار للناس لما فيها من الزرع والثمار ، ومعين : أى ماء جار .

## الإيضاح

( وجعلنا ابن مريم وأمه آية ) أى جعلنا عيسى آية للناس دالة على عظيم قدرتنا وبديع صنعنا إذ خلقناه من غير أب وأنطقناه فى المهد وأجرينا على يديه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، وجعلنا أمه آية إذ حملته من غير أب .

وجعلهما آية واحدة ، لأنهما اشتركا فى هـذا الأمر العجيب الخارق للعادة وهو الولادة بلا أب .

ونحو الآية قوله : « وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ » .

( وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ) أى وجعلناهما ينزلان بمرتفع من الأرض ذى ثمار وماء جار كثير .

قال قتادة : الربوة : بيت المقدس ، وقال مقاتل والضحاك : هى غُوطة دمشق إذ هى ذات الثمار والماء .

---

يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) .

## شرح المفردات

الطيبات : ما يستطاب و يستلذ من المآكل والفواكه ، أمتكم : أى ملتكم وشريعتكم ، فتقطعوا : أى قطعوا ومزقوا ، أمرهم : أى أمر دينهم ، زبرا : أى قطعا واحدها زبور ، فذرهم : أى فدعهم واتركهم ، وأصل الغمرة الماء الذى يغمر القامة و يسترها والمراد بها الجهالة ، حتى حين: أى إلى أن يموتوا فيستحقوا العذاب ، نمدهم: أى نعطيه مددا لهم .

## المعنى الجملى

بعد أن قص سبحانه علينا قصص بعض الأنبياء السالفين ـ عقّب هذا ببيان أنه أوصاهم جميعا بأن يأكلوا من الحلال ، و يعملوا صالح الأعمال ، كِفاء ما أنعم به عليهم من النعم العظيمة والمزايا الجليلة التى لايقدر قدرها ، ثم حذرهم وأنذرهم بأنه عليم بكل أعمالهم ظاهرها و باطنها ، لاتخفى عليه من أمورهم خافية ، ثم أرشدهم إلى أن الدين الحق واحد لاتعدد فيه ولكن الأمم قد فرقت دينها شيعا ، وكل أمة فرحة مسرورة بما تدين به كما هى حال قريش ، ثم خاطب رسوله بأن يتركهم وما يعتقدون إلى حين ، ثم ذكر أنهم فى عماية حين ظنوا أن ما أوتوه من النعم هو حُظْوة من ربهم لهم ـ كلا ، فهم لايشعرون بحقيقة أمرهم وعاقبة حالهم ، ولو عقلوا لعلموا أنهم فى سكرتهم يعمهون .

## الإيضاح

( يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ) أمر الله كل نبى فى زمانه بأن يأكل من المال الحلال مالذّ وطاب ، وأن يعمل صالح الأعمال ، ليكون ذلك كفاء ما أنعم به عليه من النعم الظاهرة والباطنة .

وهذا الأمر و إن كان موجها إلى الأنبياء فإن أممهم تبع لهم ، وكأنه يقول لنا :

أيها المسلمون فى جميع الأقطار ، كلوا من الطيبات أى من الحلال الصافى القوّام ـ الحلال ما لايعصى الله فيه ، والصافى ما لاينسى الله فيه ، والقوّام ما يمسك النفس ويحفظ العقل ـ واعملوا صالح الأعمال .

أخرج أحمد وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم عن أم عبد الله أخت شداد ابن أوس رضى الله عنها أنها بعثت إلى النبى صلى الله عليه وسلم بقدح لبن حين فطره وهو صائم ، فرد إليها رسولها وقال : من أين لك هذا ؟ فقالت من شاة لى ، ثم رده وقال : من أين هذه الشاة ؟ فقالت اشتريتها بمالى فأخذه ، فلما كان من الغد أمّته وقالت يا رسول الله : لم رددت اللبن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أمرت الرسل ألا يأكلوا إلا طيبا ولا يعملوا إلا صالحا .

وأخرج مسلم والترمذى وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ! إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيبا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » وقال « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّى بالحرام يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فأنّى يستجاب له » ؟

وفى تقديم أكل الطيبات على العمل الصالح إيماء إلى أن العمل الصالح لايتقبل إلا إذا سبق بأكل المال الحلال .

وجاء فى بعض الأخبار « إن الله تعالى لايقبل عبادة مَن فى جوفه لقمة من حرام » وصح أيضاً « أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

ثم علل هذا الأمر بقوله :

( إنى بما تعملون عليم ) أى إنى بأعمالكم عليم لا يخفى على شىء منها ، وأنا مجازيكم بجميعها ، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها ، فخذوا فى صالح الأعمال واجتهدوا قدر طاقتكم فيها ، شكرا لربكم على ما أنعم به عليكم .

وفى هذا تحذير من مخالفتهم ما أمروا به ، وإذا قيل للأنبياء ذلك فما أجدر أممهم أن تأخذ حذرها ، وترعوى عن غيها ، وتخشى بأس الله وشديد عقابه :

( وإن هذه أمتكم أمة واحدة ) أى وإن دينكم معشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له ـ واختلاف الشرائع والأحكام على حسب اختلاف الأزمان والأحوال لايسمى اختلافا فى الدين ، لأن الأصول واحدة .

( وأنا ربكم فاعبدون ) أى وإنى أنا ربكم لا شريك لى فى الربوبية فاحذروا عقابى وخافوا عذابى .

وفى هذا إيماء إلى أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله واتقاء معاصيه .

ثم بين أن أمم أولئك الرسل خالفوا أمر رسلهم واتبعوا أهواءهم وجعلوا دينهم فرقا وشيعا فقال :

( فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ) أى فتفرق أتباع الأنبياء فرقا وجماعات ، وأصبح كل فريق معجبا بنفسه ، فرحا بما عنده ، معتقداً أنه الحق الذى لامعدل عنه .

فيا أتباع الأنبياء . أين عقولكم ؟ إن الله أرسل إليكم رسلا فجعلتموهم محل الشقاق ومثار النزاع ، لم هذا ؟ هل اختلاف الشرائع مع اتحاد الأصول والعقائد ينافى المودة والمحبة ؟ وأين أنتم يا أتباع محمد ؟ مالكم كيف تفرقتم أحزابا ؟ هل اختلاف المذاهب كشافعية ومالكية وزيدية وشيعة يفرق العقيدة ؟ وكيف يكون هذا سبب التفرقة ؟ فهل تغير الدين ؟ وهل تغير القرآن ؟ وهل تغيرت القبلة ؟ وهل حدث إشراك ؟ كلا كلا ، فإذا كان العيب قد لحق الأمم المختلفة على تنابذها ، فما أجدركم أن يلحقكم الذم على تنابذكم وأنتم أهل دين واحد .

ولا علة لهذا إلا الجهالة الجهلاء ، فقد خيم الجهل فوق ربوعكم ومدت طنبه بين ظهرانيكم ، لأنكم فرطتم فى كتاب ربكم ؛ ظننتم أن أسس الدين هى مسائل

العبادات والأحكام، وتركتم الأخلاق وراءكم ظهريا ، وتركتم آيات التوحيد والنظر فى الأكوان ، ولو أنكم نظرتم إلى شىء من هذا لعلمتم أن كل ذلك من دينكم وأنتم عنه غافلون .

و بعد أن ذكر سبحانه ما حدث من أمم أولئك الأنبياء من التفرّق والانقسام فيما كان يجب عليهم فيه اتفاق الكلمة ، ومن فرحهم بما فعلوا ـ أمر نبيه أن يتركهم فى جهلهم الذى لاجهل فوقه ، لأنه لاينجع فيهم النصح ولا يجدى فيهم الإرشاد فقال :

( فذرهم فى غمرتهم حتى حين ) أى فذرهم فى غيهم وضلالهم إلى حين يرون العذاب رأى العين .

ونحو الآية قوله : « فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا » وقوله : « ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » .

وقد جُعلوا فى غمرة تشبيها لحالهم حين ستر الجهل والحيرة عقولهم بحال من غمره الماء وغطاه .

ثم بين خطأهم فيما يظنون من أن سعة الرزق فى الدنيا علامة رضا الله عنهم فى الآخرة فقال :

( أيحسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون) أى أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد ، كرامة لهم علينا وإجلالا لأقدارهم عندنا ـ كلا ، إن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا فى المعاصى ، واستجراراً لهم فى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه مسارعة فى الخيرات ، إذ هم أشبه بالبهائم لافطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا فى أنه ـ استدراج هو أم مسارعة فى الخيرات ؟

ونحو الآية قوله تعالى حكاية عنهم : « وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » وقوله : « فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » وقوله : « إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا » .

قال قتادة فى تفسير الآية : مكر الله بالقوم فى أموالهم وأولادهم . يابن آدم لا تغتبر الناس بأموالهم وأولادهم ولـكن اعتبرهم بالإيمـان والعمل الصالح .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذى نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قالوا وما بوائقه يارسول الله ؟ قال غشه وظلمه » .

---

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) .

## شرح المفردات

الخشية : الخوف من العقاب ، والإشفاق نهاية الخوف والمراد لازمه ، وهو دوام الطاعة ، والآيات : هى الآيات الـكونية فى الأنفس والآفاق والآيات المنزلة ، وجلة : أى خائفة ، سابقون : أى ظافرون بنيلها .

## المعنى الجملى

بعد أن ذم سبحانه من فرقوا دينهم شيعا وفرحوا بمـا عملوا وظنوا أن ما نالوه من حظوظ الدنيا هو وسيلة لنيل الثواب فى الآخرة ، و بين أنهم واهمون فيما حسبوا — قفى على ذلك بذكر صفات من له المسارعة فى الخيرات ومن هو جدير بها .

# الإيضاح

( إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ) أى إن الذين هم من خوفهم من عذاب ربهم دائبون فى طاعته ، جادون فى نيل مرضاته ، فهم فى نهاية الخوف من سخطه عاجلا ومن عذابه آجلا ، ومن ثم يبتعدون عن الآثام والمعاصى .

( والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ) أى والذين هم بآيات ربهم الكونية التى نصبها فى الأنفس والآفاق دلالة على وجوده ووحدانيته ، و بآياته المنزلة على رسله - مصدقون موقنون لا يعتريهم شك ولا ريب .

( والذين هم بربهم لا يشركون ) أى والذين لا يعبدون مع الله سواه ، و يعلمون أنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى ليس له صاحبة ولا ولد .

وفيما سبق وصف لله بتوحيد الربوبية ، وهنا وصف له بتوحيد الألوهية ، ولم يقتصر على الأول ، لأن كثيراً من المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية كما قال : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ » ولا يعترفون بتوحيد الألوهية والعبادة ، ومن ثم عبدوا الأصنام والأوثان على طرائق شتى ، وعبدو معبودات مختلفة .

( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ) أى والذين يعطون ما أعطوا و يتصدقون بما تصدقوا ، وقلوبهم خائفة ألا يتقبل ذلك منهم وألا يقع على الوجه المرضى حين يبعثون و يرجعون إلى ربهم وتنكشف الحقائق و يحتاج العبد إلى عمل مقبول لديه و إن قلّ « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

و يدخل فى قوله : ( يؤتون ما آتوا ) كل حق يلزم إيتاؤه ، سواء أكان من حقوق الله كالزكاة والكفارة وغيرها أم من حقوق العباد كالودائع والديون والعدل بين الناس ، فمتى فعلوا ذلك ( وقلوبهم وجلة من التقصير والإخلال بها بنقصان أو غيره ) اجتهدوا فى أن يوفوها حقها حين الأداء .

وسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ) أهو الذي يزنى ويشرب الخمر ، ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى ؟ فقال لا يابنة الصديق ، ولكن هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل ذلك منه .

( أولئك يسارعون فى الخيرات ) أى أولئك الذين جمعوا هذه المحاسن يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة ، فيبادرونها لئلا تفوتهم إذا هم ماتوا ، ويتعجلون فى الدنيا وجوه الخيرات العاجلة التى وعدوا بها على الأعمال الصالحة فى نحو قوله : « فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ » وقوله : « وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » .

( وهم لها سابقون ) أى إنهم يرغبون فى الطاعات وهم لأجلها سابقون الناس إلى الثواب ، لا أولئك الذين أمددناهم بالمال والبنين فظنوا غير الحق أن ذلك إكرام منّا لهم ، فإن إعطاء المال والبنين والإمداد بهما لا يؤهل للمسارعة إلى الخيرات ، وإنما الذى يؤهل للخيرات هو خشية الله وعدم الإشراك به وعدم الرياء فى العمل والتصديق مع الخوف منه .

ومعنى ( هم لها ) أنهم معدّون لفعل مثلها من الأمور العظيمة ، كقولك لمن يطلب منه حاجة لا ترجى من غيره ـ أنت لها ـ وعلى هذا قوله :

مشكلات أعضلت ودهت يا رسول الله أنت لها

وخلاصة ذلك — إن النعم ليست هى السعادة الدنيوية ونيل الحظوظ فيها ، بل هى العمل الطيب بإيتاء الصدقات ونحوها مع إحاطة ذلك بالخوف والخشية .

---

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) .

## شرح المفردات

الوسع : مايتسع على الإنسان فعله ولا يضيق عليه ، والكتاب : هو صحائف الأعمال ، بالحق : أى بالصدق .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه صفات المؤمنين المخلصين الذين يسارعون إلى الخيرات ــ أرشد إلى أن ما كلفوا به سهل يسير لايخرج عن حد الوسع والطاقة ، وأنه مهما قلّ فهو محفوظ عنده فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى ، وهو لايظلم أحدا من خلقه ، بل يجزى بقدر العمل و بما نطقت به الصحف على وجه الحق والعدل .

## الإيضاح

( ولا نكلف نفسا إلا وسعها ) أى إن سنتنا جارية على ألا نكلف نفسا إلا ماق وسعها وقدر طاقتها ، ومن ثم قال مقاتل : من لم يستطع القيام فى الصلاة فليصلّ قاعدا ، ومن لم يستطع القعود فليوم إيماء .

(ولدينا كتاب ينطق بالحق) أى ولدينا صحائف أعمالهم يقرءونها حين الحساب وتظهر فيها أعمالهم التى عملوها فى الدنيا دون لبس ولا ريب ، ويجازون على الجليل منها والحقير، والقليل والكثير .

ونحو الآية قوله : « هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » وقوله : « لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » .

ثم بين فضله على عباده وعدله بينهم فى الجزاء إثر بيان لطفه فى التكليف وكتابة الأعمال على ماهى عليه فقال :

( وهم لايظلمون ) أى وهم لايظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو زيادة عذاب ، بل يجازون بما عملوا ونطقت به كتبهم بالعدل والحق .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) .

## شرح المفردات

الغمرة : الغفلة والجهالة ، من دون ذلك : أى غير ذلك ، والمترف : المتوسع فى النعمة ، وجأر الرجل : صاح ورفع صوته ، لاتنصرون : أى لايجيركم أحد ولا ينصركم ، تنكصون : أى تعرضون عن سماعها ، وأصل النكوص: الرجوع على

الأعقاب ( العقب مؤخر الرِّجْل ) ورجوع الشخص على عقبه : رجوعه فى طريقه الأولى كما يقال رجع عوده على بدئه ، سامرا : أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه ، والهُجْر ( بالضم ) الهذيان ، والجِنة: الجنون ، والذكر : القرآن الذى هو فخرهم ، عن ذكرهم : أى فخرهم ، خرجا : أى جُعْلا وأجرا ، صراط مستقيم : أى طريق لاعوج فيه ، لناكبون : أى عادلون عن طريق الرشاد ، يقال نكب عن الطريق : إذا زاغ عنه ، لجّ فى الأمر : تمادى فيه ، يعمهون : أى يتحيرون و يترددون فى الضلال ، واستكانوا : خضعوا وذلوا ، وما يتضرعون : أى يجددون التضرع والخضوع ، مبلسون : أى متحيرون آيسون من كل خير .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه سجاحة هذا الدين وأنه دين يسر لاعسر فلا يكلف النفس إلا ماتطيق ، وأن مايعمله المرء فهو محفوظ فى كتاب لايبخس منه شيئا ولا يزاد له فيه شىء ــ أردف هذا ببيان أن المشركين فى غفلة عن هذا الذى بين فى القرآن ولهم أعمال سوء أخرى من فنون الكفر والمعاصى كطعنهم فى القرآن واستهزائهم بالنبى صلى الله عليه وسلم و إيذائهم للمؤمنين ، فإذا حل بهم بأسنا يوم القيامة جأروا واستغاثوا فقلنا لهم لافائدة فيما تعملون ، فقد جاءتكم الآيات والنذر فأعرضتم عنها واتخذتموها هزوا تسمرون بها فى البيت الحرام وقد كان من حقكم أن تتدبروا القرآن لتعلموا أنه الحق من ربكم ، وأن مجىء الكتب إلى الرسل سنة قديمة فكيف تنكرونها ، وهل رابكم فى رسولكم شىء حتى تمتنعوا من تصديقه وتقولوا إن به جِنّةً وأنتم تعلمون أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم رأيا ــ لا ــ إن الأمر على غير ماتظنون ، إنه قد جاءكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون ، لما دسيتم به أنفسكم من الزيغ والانصراف عن سبيل الحق ، ولو أجابكم ربكم إلى مافى أنفسكم من الهوى وشرع الأمور وفق ذلك لفسدت السموات والأرض لفساد أهوائكم

واختلافها ، وأنتم لو تأملتم لعلمتم أن ماجاءكم به هو فخركم فكيف تعرضون عنه ، وهل تظنون أنه يسألكم أجرا على هدايتكم وإرشادكم فما عند الله خير مما عندكم وهو خير الرازقين . فها هو ذا قد تبين الرشد من الغيّ واستبان أن ما تدعوهم إليه هو الحق الذى لامحيص منه ، وأن الذين لايؤمنون به عادلون عن طريق الحق ، وقد بلغوا حدا من التمرد والعناد لايرجى معه صلاح ، فلو أنهم ردوا فى الآخرة إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه لشدة لجاجهم وتدسيتهم لأنفسهم .

ولقد قتلنا سراتهم بالسيف يوم بدر فما خضعوا ولا انقادوا لربهم ولا ردهم ذلك عما كانوا فيه ، بل استمروا فى غيّهم وضلالهم كما قال « فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا » .

فإذا جاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من عذاب الله مالم يكونوا يحتسبون ، أيسوا من كل خير وانقطع رجاؤهم من كل راحة وسعادة .

## الإيضاح

( بل قلوبهم فى غمرة من هذا ) أى بل قلوب المشركين فى غفلة عن هدى القرآن والاسترشاد بما جاء به مما فيه سعادة الناس فى دينهم ودنياهم ، فلو قرءوه وتدبروه لرأوا أنه كتاب ينطق بالصدق ، وأنه يقضى بأن أعمال المرء مهما دقت فهو محاسب عليها ، وإن ربك لايظلم أحدا من عباده .

ثم ذكر جنايات أخرى لهم فوق جنايتهم السابقة فقال :

( ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ) أى إن لهم أعمالا أخرى أسوأ من ذلك ، فقد أغرقوا فى الشرك والمعاصى واتخذوا هذا الكتاب هزوا وجعلوه سمرهم فى البيت الحرام يقولون فيه ماهو منه براء ، يقولون إن هو إلا سحر مفترى ، وما هو إلا أساطير الأولين ، وما هو إلا كلام شاعر ، ويتقوّلون على من أرسل به فيزعمون أنه رجل به جنة ، وأنه قد تعلمه من غيره من أهل الكتاب ، وانغمسوا فى عبادة

الأوثان والأصنام ، ولقد تراهم إذا جاء البرهان الساطع أعرضوا عنه وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون .

( حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون ) أى حتى إذا حلّ بهم بأسنا يوم القيامة وحاق بهم سوء العذاب صاحوا صيحة منكرة وقالوا : واغوثاه ، وواسوء منقلباه ، لشدة مايرون من الكرب والهول ، ولا سيما مترفوهم الذى انقلب أمرهم من النعيم إلى العذاب الأليم ، وندموا حين لاينفع الندم :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغى مرتع مبتغيه وخيم

ثم أبان أن الصريخ والعويل لايجديهم نفعا فقال :

( لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون ) أى قلنا لهم : هيهات هيهات ، قد فات ما فات ، الآن لايجديكم البكاء والعويل ، فهذا وقت الجزاء على ما كسبت أيديكم ، وقد حقت عليكم كلمة ربكم ، ولا مغيث من أمره ، ولا ناصر يحول بينكم و بين بأسه.

ولا يخفى ما فى ذلك من التهويل الشديد لذلك اليوم وأنه لاتجدى فيه ضراعة ولا استغاثة ، ولا ينفع فيه ولىّ ولا نصير .

ثم ذكر سببا آخر يبين أن البكاء والصراخ لاينفع شيئا فقال :

( قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ) أى دعوا الصراخ فإنه لايمنعكم منا ، واتركوا النصير فإنه لاينفعكم عندنا ، فقد ركبتم شططا وجاءتكم الآيات والنذر فأعرضتم عن سماعها ، فضلا عن تصديقها والعمل بها ، وكنتم كمن ينكص على عقبيه موليا القهقرى ، نافرا مما يسمع ويرى .

ثم ذكر سببا ثالثا يدعو إلى التنكيل بهم والتشديد فى عذابهم فقال :

( مستكبرين به سامرا تهجرون ) أى تعرضون عن الإيمان مستعظمين بالبيت الحرام ، تقولون نحن أهل حرمه وخدام بيته ، فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا ، وتسمرون حوله وتتخذون القرآن سلواكم ، والطعن فيه هجّيراكم ، تهذون فتقولون : هو سحر ، هو شعر ، هو كهانة إلى آخر مايحلو لكم أن تتقوّلوه .

والخلاصة — إنكم كنتم عن سماع آياتى معرضين ، مستعظمين بأنكم خدام البيت وجيرانه ، فلا تضامون ، وتهذون فى أمر القرآن وتقولون فيه ماليس فيه مَسْحة من الحق ، ولا جانب من صواب .

ثم أنّبهم على مافعلوا و بين أن إقدامهم عليه لابد أن يكون لأحد أسباب أربعة فقال :

(١) ( أفلم يدبروا القول ) أى إنهم لم يتدبروا القرآن فيعلموا ماخص به من فصاحة و بلاغة ، وقد كان لديهم فسحة من الوقت تمكنهم من التدبر فيه ومعرفة أنه الحق من ربهم وأنه مبرأ من التناقض وسائر العيوب التى تعترى الكلام — إلى مافيه من حجج دامغة ، و براهين ساطعة ، إلى مافيه من فضائل الآداب ، وسامى الأخلاق ، إلى مافيه من تشريع إن هم اتبعوه كانوا سادة البشر ، واتبعهم الأسود والأحمر ، كما كان لمن اتبعه من السابقين الأولين من المؤمنين .

(٢) ( أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين ) أى أم اعتقدوا أن مجىء الرسل أمر لم تسبق به السنن من قبلهم ، فاستبعدوا وقوعه ، لكنهم قد عرفوا بالتواتر أن الرسل كانت تترى وتظهر على أيديهم المعجزات ، فهلا كان ذلك داعيا لهم إلى التصديق بهذا الرسول الذى جاء بذلك الكتاب الذى لاريب فيه .

(٣) ( أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ) أى أم إنهم لم يعرفوا رسولهم بأمانته وصدقه وجميل خصاله قبل أن يدعى النبوة ، كلا ، إنهم لقد عرفوه بكل فضيلة وشهر لديهم باسم ( الأمين ) فكيف ينكرون رسالته ، ولقد قال جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى : إن الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه ، ونعرف صدقه وأمانته ، وكذلك قال أبو سفيان لملك الروم حين سأله وأصحابه عن نسبه وصدقه وأمانته ، وقد كانوا بعدُ كفارا لم يسلموا .

(٤) ( أم يقولون به جنة ) أى أم إن به جنونا فلا يدرى ما يقول ، مع أنهم يعلمون أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهنا وأوفرهم رزانة .

و بعد أن عدد سبحانه هذه الوجوه ونبه إلى فسادها بين وجه الحق فى عدم إيمانهم فقال :

( بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ) أى إن ما جاءهم به هو الحق الذى لامحيص منه ، فما هو إلا توحيد الله وما شرعه لعباده مما فيه سعادة البشر ، لكن أكثرهم جبلوا على الزيغ والانحراف عن الحق ، لما ران على قلوبهم من ظلمات الشرك والإسراف فى الآثام والمعاصى ، ومن ثم فهم لايفقهون الحق ولا تستسيغه نفوسهم فهم له كارهون .

و إنما نسب هذا الحكم للأكثر ، لأن فيهم من ترك الإيمان أنفة من توبيخ قومه وأن يقولوا : ترك دين آبائه ، لا كراهة للحق ، كما أثر عن أبى طالب من قوله :

فوالله لولا أن أجىء بسُبَّة تجرّ على أشياخنا فى القبائل
إذاً لاتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التخاذل

ثم بين سبحانه أن اتباع الهوى يؤدى إلى الفساد العظيم فقال :

( ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ) أى ولو سلك القرآن طريقهم ، بأن جاء مؤيدا للشرك بالله واتخاذ الولد ( تعالى الله عن ذلك ) وزين الآثام واجتراح السيئات لاختل نظام العالم كما جاء فى قوله : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا » ولو أباح الظلم وترك العدل لوقع الناس فى هرْج ومرْج، ولوقع أمر الجماعات فى اضطراب وفساد ، والمشاهد فى الأمم التى يفشو فيها التخاذل والذلة والمسكنة يئول أمرها إلى الزوال ، ولو أباح العدوان واغتصاب الأموال وأن يكون الضعيف فريسة للقوى ، لما استتبّ أمن وماساد نظام ، وحال العرب قبل الإسلام شاهد صدق على ذلك .

ولو أباح الزنا لفسدت الأنساب وما عرف والد ولده فلا تتكوّن الأسر ولا يكون من يعول الأبناء ولا يبحث لهم عن رزق ، فيكونون شرّدا فى الطرقات لامأوى لهم ، ولاعائل يقوم بشئونهم ، وأكبر برهان على هـذا ماهو حادث فى أوربا

الآن من وجود نسل بازدواج غيرشرعى مما تئنّ منه الأمم والجماعات ؛ إلى نحو أولئك مما سبق ذكره من قبل وفصلناه تفصيلا .

و بعد أن أنبّههم إلى كراهتهم للحق ، شنع عليهم لإعراضهم عما فيه الخير لهم وهو يخالف ما جبلت عليه النفوس من الرغبة فى ذلك فقال :

( بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ) أى بل جئناهم بالقرآن الذى فيه فخرهم وشرفهم فأعرضوا عنه ونكصوا على أعقابهم وازدروا به وجعلوه هزوا وسخرية ، وما كان لهم من الخير أن يفعلوا ذلك .

ونحو الآية قوله: « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » .

ثم نفى عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما ربما صدّهم عن دعوته وهو طلبه المال منهم أجرا لنصحه و إرشاده فقال :

( أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير ) أى أم يزعمون أنك طلبت منهم أجرا على تبليغ الرسالة ، فلأجل هذا لا يؤمنون .

والمراد — إنك لا تسألهم أجرا ، فإن ما رزقك الله فى الدنيا والعقبى خير من ذلك ، لسعته ودوامه وعدم تحمل منّة فيه ، ولأنك تحتسب أجره عند الله لا عندهم .

ونحو الآية قوله : « قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ » وقوله : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » وقوله : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » .

( وهو خير الرازقين ) توكيد لما قبله ، إذ من يكون خير الرازقين يكون رزقه خيرا من رزق غيره .

و بعد أن فنّد آراءهم أتبعها ببيان صحة ما جاء به الرسول وأنه الحق الذى لا معدل عنه فقال :

( و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ) أى و إنك لتدعو هؤلاء المشركين من

قومك إلى ذلك الدين القيم الذى تشهد العقول السليمة باستقامته، و بعده عن الضلال والهوى والاعوجاج والزيغ .

وخلاصة ما سبق ما قاله صاحب الكشاف : قد ألزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم ـ بأن الذى أرسل إليهم رجل معروف أمره ، وحاله مخبور ، وسره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم ، وأنه لم يَعْرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ، ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ، ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذى هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم ، وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل ، واستهتارهم بدين الآباء الضُّلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق ، وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة ، وكراهتهم للحق و إعراضهم عما فيه حظهم من الذكر اهـ .

ثم بين أن الذين ينكرون البعث هم فى ضلال مبين فقال :

( وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ) أى وإن الذين لايصدقون بالبعث بعد الموت ، و بقيام الساعة ومجازاة الله عباده فى الآخرة ـ عادلون عن محجة الحق وعن قصد السبيل وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده ونصب الأدلة عليه .

( ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضرّ للجوا فى طغيانهم يعمهون ) أى إنهم بلغوا فى التمرد والعناد حدا لايرجى معه صلاح لهم ، فلو أنهم ردوا فى الآخرة إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه ، لشدة لجاجهم وتدسيتهم لأنفسهم .

( ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ) أى ولقد قتلنا سراتهم بالسيف يوم بدر ، فما خضعوا لربهم ولا انقادوا لأمره ونهيه ، ولا تذللوا ولا ردهم ذلك عما كانوا فيه ، بل استمروا فى غيهم وضلالهم .

ونحو الآية قوله : « فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا » .

ثم أبان عاقبة أمرهم وما يكون من حالهم إذا جاءت الساعة فقال :

( حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذاهم فيه مبلسون ) أى حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من العذاب مالم يكونوا يحتسبون ـ أيسوا من كل خير وانقطعت آمالهم وخاب رجاؤهم .

---

وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ؟ (٨٠).

## شرح المفردات

ذرأكم فى الأرض : أى خلقكم وبثكم فيها ، اختلاف الليل والنهار : تعاقبهما من قولهم : فلان يختلف إلى فلان : أى يتردد عليه بالمجىء والذهاب .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه إعراض المشركين عن سماع الأدلة ورؤية العبر والتأمل فى الحقائق ـ أردف ذلك بالامتنان على عباده بأنه قد أعطاهم الحواس من السمع والبصر وغيرهما ووفقهم لاستعمالها ، وكان من حقهم أن يستفيدوا بها ليستبين لهم الرشد من الغى ، لكنها لم تغن عنهم شيئا فكأنهم فقدوها كما قال : « فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَىْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ » ثم ساق أدلة أخرى على وجوده وقدرته فبين أنه أوجدهم من العدم وأن حشرهم إليه ، وأنه هو الذى يحييهم ثم يميتهم وأنه هو الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ، أفلا عقل لكم تتأملون به فيما تشاهدون ؟.

# الإيضاح

امتن سبحانه على عباده بأمور هى دلائل قدرته وواسع علمه فقال :

(١) ( وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة ) أى والله هو الذى أحدث لكم السمع لتسمعوا به الأصوات التى تخاطبون بها ، والأبصار لتشاهدوا بها الأضواء والألوان والأشكال المختلفة ، والعقول لتفقهوا بها ما ينفعكم ويوصلكم إلى سعادة الحياتين الدنيا والعقبى .

وخص هـــذه الثلاثة بالذكر ، لأنها طريق الاستدلال الحسى والعقلى لمعرفة الموجودات .

( قليلا ما تشكرون ) تقول العرب للكفور الجحود للنعمة : ما أقل شكر فلان على نعمتى على معنى أنه لم يشكرها ، فالمراد هنا أنكم لم تشكروه على هذه النعم العظيمة ، وقد كان ينبغى أن تشكروه عليها فى كل حين .

(٢) ( وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون ) أى وهو الذى خلقكم فى الأرض وبثكم فيها على اختلاف أجناسكم ولغاتكم ، ثم يجمعكم لميقات يوم معلوم فى دار لاحاكم فيها سواه .

(٣) ( وهو الذى يحيى ويميت ) أى وهو الذى جعل الخلق أحياء بنفخ الروح فيهم بعد أن لم يكونوا شيئا ، ثم يميتهم بعد أن أحياهم ، ثم يعيدهم تارة أخرى للثواب والجزاء .

(٤) ( وله اختلاف الليل والنهار ) أى وهو الذى سخر الليل والنهار وجعلهما متعاقبين يطلب كل منهما الآخر طلبا حثيثا ، لا يملّان ولا يفترقان كما قال : « لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » .

ثم أنّب من ترك النظر فى كل هذا فقال :

(أفلا تعقلون ؟) أى أفلا تتفكرون فى هذه الموجودات لتعلموا أن هذه صنع الإله العليم القادر على كل شىء ، وأن كل شىء خاضع له تحت قبضته دالّ على وجوده ؟.

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) .

## شرح المفردات

الأساطير : الأكاذيب واحدها أسطورة كأحدوثة وأعجوبة، قاله المبرد وجماعة .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أدلة التوحيد المبثوثة فى الأكوان والأنفس والتى يراها الناس فى كل آن ـ أعقبها بذكر البعث والحشر وإنكار المشركين لهما ، وترددهم مقالة من سبقهم من الكافرين الجاحدين فى استبعادها والتكذيب بحصولهما .

## الإيضاح

( بل قالوا مثل ما قال الأولون ) أى ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا حججه الدالة على قدرته على فعل كل مايريد ، كإعادة الأجسام بالبعث ، وحياتها حياة أخرى للحساب والجزاء ، بل قالوا مثل مقالة أسلافهم من الأمم المكذبة لرسلها من قبلهم ، تقليداً لهم دون برهان ولا دليل .

ثم فصل تلك المقالة . فقال :

( قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ) أى قالوا أئذا متنا وصرنا ترابا قد بليت أجسامنا وجردت عظامنا من لحومنا : أئنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ؟ إن هذا لن يكون .

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهم :

( لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ) أى قالوا : لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا به ، ووعد آباؤنا من قبل مثل هذا على أيدى قوم زعموا أنهم رسل الله ، ثم لم يوجد ذلك مع طول العهد .

ثم زادوا فى تأكيد الإنكار فقالوا :

( إن هذا إلا أساطير الأولين ) أى ما هذا الذى تعدنا به من البعث بعد الممات إلا أكاذيب الأولين ، قد تلقفناها منهم دون أن يكون لها ظل من الحقيقة ولا نصيب من الصحة .

ونحو الآية قوله حكاية عنهم : « أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ » وقوله : « أَوَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » .

---

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ؟ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) .

## شرح المفردات

تتقون : أى تحذرون عقابه ، الملكوت : الملك والتدبير ، يجير : أى يغيث ، من قولهم أجرت فلانا من فلان إذا أنقذته منه ، ولا يجار عليه : أى لا يعين أحد منه أحدا ، تسحرون : أى تخدعون وتصرفون عن الرشد .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه شبهات المشركين فى أمر البعث والحساب والجزاء وأحـــوال النشأة الآخرة ـ عقب ذلك بذكر الأدلة التى تثبت تحققه وأنه كائن لا محالة .

## الإيضاح

احتج سبحانه عليهم لإثبات البعث ببرهانات ثلاثة :

(١) ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ ) أى قل أيها الرسول لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك : لمن مُلْك السموات والأرض ومن فيها من الخلق ، إن كنتم من أهل العلم بذلك ؟

وفى قوله : ( إن كنتم تعلمون ) استهانة بهم وتوكيد لفرط جهالتهم كما لا يخفى .

ولما كانت بداهة العقل تضطرهم أن يجيبوا بأن الخالق لها هو الله ـ أخبر عن الجواب قبل أن يجيبوا فقال :

( سيقولون لله ) أى إنهم سيقرون بأنها لله ملكا وخلقا وتدبيراً دون غيره .

ثم رغبهم فى التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه فقال :

(قل أفلا تذكرون؟) أى قل لهم حين يعترفون بذلك موبخا لهم: أفلا تتدبرون فتعلموا أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ؟ ـ فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم ، وإعادتهم خلقا جديدا بعد فنائهم .

(٢) ( قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ ) أى قل لهم : من خلق السموات وخلق العرش المحيط بهن كما قال : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ » ومن يدبر أمرهن على هذا الوضع البديع والنظام العجيب ؟ كما قال : « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا » .

( سيقولون لله ) الذى له كل شىء وهو رب ذلك ، ليس لهم جواب غيره .

ولما تأكّد الأمر وزاد وضوحا حسن التهديد فقال :

( قل أفلا تتقون ؟ ) أى قل لهم منكرا وموبخا : أتعلمون ذلك ولا تقون أنفسكم عقاب ربكم ، فتتذكروا ما أخبر به من البعث .

و بعد أن قررهم بأن العالَمَيْن العلوى والسفلى ملك له تعالى ـ أمره أن يقررهم بأن له تدبير شئونهما وتدبير كل شىء فقال :

(٣) ( قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ) أى قل لهم : مَن المالك لكل شىء ؟ والمدبر لكل شىء ؟ وفى قبضته وتحت سلطانه وتصرفه كل شىء ؟ وهو يغيث من يشاء فيكون فى حرز لايقدر أحد على الدنوّ منه ، ولا يغاث أحد ولا يمنع منه ، لأنه ليس فى العوالم كلها ما هو خارج من قبضته .

والخلاصة — إنه المدبر لنظام العالم جميعه وهو الذى يغيث من شاء ولايستطيع أحد أن يغيث منه .

( سيقولون لله ) الذى بيده ذلك دون غيره .

( قل فأنى تسحرون ؟ ) أى قل لهم على طريق الاستهجان والتوبيخ : كيف تُخدعون وتصرفون عن توحيد الله وطاعته ؟ فأنتم بعبادة الأصنام أو بعض البشر قد سحرت عقولكم كأنما غابت عن رشدها ، واعتراها الذهول ، فتصورت الأشياء على غير ما هى عليها .

وقد ثبت بالتجربة أن تكرار الكلام يخدع العقول والحواس حتى تتخيل غير الحق حقا وتتوهم صدق ما يقال و إن كان باطلا ، ومن ثم كثرت المذاهب الإسلامية وابتدع الرؤساء الدينيون والسياسيون من الأساليب ما خدعوا به عقول الشعوب فى دينهم ودنياهم .

والخلاصة — إن الكتاب الكريم عبر عن انصراف المشركين عن الحقائق الملموسة إلى ما لا أصل له إلا فى أوهامهم وخيالاتهم بالسحر ، فإن قوما يعترفون بأنه خالق للسموات والأرض بل للعالم كله ، ثم هم بعد ذلك يقولون إن له شريكا — ليس له من سر إلا أن العقول قد سحرت عن أن تفهم الحقائق ، وعولت على الاقتناع بالترّهات والأباطيل .

( بل آتيناهم بالحق و إنهم لكاذبون ) أى ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من قولهم : إن هذا إلا أساطير الأولين ، بل جئناهم فيه بالدين الحق الذى فيه سعادة البشر ، و إنهم لكاذبون فى إنكار ذلك ، لأن عقولهم قد سحرت بخدع الآباء وتكرار القول وحكم العادة وهى طبيعة ثانية .

---

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) .

## المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه أن المشركين كاذبون فى إنكار البعث والجزاء ، وفى مقالتهم : إن القرآن أساطير الأولين ، قفى على ذلك ببيان أنهم كاذبون فى أمرين آخرين . اتخاذ الله للولد ، و إثبات الشريك له .

## الإيضاح

نفى سبحانه عن نفسه شيئين :

(١) ( ما اتخذ الله من ولد ) أى ليس له ولد كما زعم قوم من المشركين حين

قالوا : الملائكة بنات الله ، وكيف يكون له ذلك ولا مثل له ولا ندّ ، والولد إنما يتخذ للحاجة إلى النصير والمعين ، والله غنى عن كل شىء .

(٢) ( وما كان معه من إله ) يشركه فى الألوهية لا قبل خلق العالم ولا حين خلقه له ولا بعد خلقه .

ثم ذكر دليلين على بطلان تعدّد الآلهة فقال :

(ا) ( إذًا لذهب كل إله بما خلق ) أى لو قدّر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق إذ لكل صانع ضرب من الصنعة يغاير صنعة سواه ، فكان يحصل التباين فى نظم الخلق والإيجاد ، ويوجد الاختلاف بين المخلوقات المتحدة الأنواع فلا ينتظم الكون ، والمشاهد أنه منتظم متسق ، وهو الغاية فى الكمال كما قال : « مَا تَرَى فى خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ » .

(ب) ( ولعلا بعضهم على بعض ) أى ولكان لكل منهم أن يطلب قهر الآخر وغلبته ، فيعلو بعضهم على بعض كما هو حال ملوك الدنيا ، وإذ لم تروا أثرا للتحارب والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون .

وبعد أن وضح الحق وصار كفلق الصبح جاء بما هو كالنتيجة لذلك فقال :

( سبحان الله عما يصفون ) أى تنزه ربنا وتقدّس عما يقوله الكافرون من أن له ولدا أو شريكا .

ثم وصف نفسه بصفات الكمال فقال :

( عالم الغيب والشهادة ) أى هو العالم بما غاب عن خلقه من الأشياء فلا يرونه ولا يشاهدونه ، وبما يرونه ويبصرونه ، والمراد أن الذين قالوا بالولد والشريك مخطئون فيما قالوا ، فإنهم يقولون عن غير علم ، وأن الذى يعلم الأشياء شاهدها وغائبها ولا تخفى عليه خافية من أمرها ـ قد نفى ذلك ، فخبره هو الحق دون خبرهم .

( فتعالى عما يشركون ) أى تقدس عما يقول الجاحدون الظالمون .

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) .

## شرح المفردات

الهمزات : الوساوس المغرية بمخالفة ما أمرنا به ، واحدها همزة ، وأصل الهمز النخس والدفع بيد أو غيرها ، ومنه مهماز الرائض ( حديدة توضع فى مؤخر الرجل ينخس بها الدابة لتسرع ) كلا : كلمة تستعمل للردع والزجر عن حصول ما يطلب ، من ورائهم : أى من أمامهم ، برزخ : أى حاجز بينهم و بين الرجعة .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر عز اسمه ما لهم من مقالات السوء كإنكار البعث والجزاء واتخاذ الولد ووصف الله بما لايليق به ، وكان كل هذا مما يدعو إلى استئصالهم وأخذهم بالعذاب ـ أمر رسوله أن يدعوه بألا يجعله قرينا لهم فيما يحيق بهم من العذاب ، ثم ذكر أنه قدير على أن يعجل لهم العذاب ولكنه أخره ليوم معلوم ، ثم أرشده إلى الترياق النافع فى مخالطة الناس ، وهو إحسان المرء إلى من يسىء إليه حتى تعود عداوته صداقة وعنفه لينا .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسان

ثم أمره أن يستعيذ من حيل الشياطين وأن يحضروه فى أى عمل من أعماله ، ولا يكون كالكافرين الذين قبلوا همزها وأطاعوا وسوستها ، حتى إذا ما حان وقت الاحتضار تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحا ، و إنه لايسمع لمثل هؤلاء دعاء ، فإنه لا رجعة لهم بعد هذا ، وأمامهم حاجز يحول بينهم و بين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم البعث .

## الإيضاح

(قل رب إما تريني ما يوعدون . رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى قل رب إن عاقبتهم وأنا مشاهد ذلك فلا تجعلنى فيهم ولا تهلكنى بما تهلكهم به، ونجنى من عذابك وسخطك ، واجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك .

وفى أمره بذلك إيماء إلى أن العذاب قد يلحق غير من هو أهل له كما قال : « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً » .

روى الإمام أحمد والترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو « و إذا أردت بقوم فتنة فتوفنى إليك غير مفتون » .

( و إنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ) أى و إنا أيها الرسول لقادرون على أن نريك ما ننزله بهم من العذاب ، فلا يحزننك تكذيبهم بك ، و إنما نؤخره حتى يبلغ الكتاب أجله ، علما منا أن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمن ، ومن جَرَاء ذلك لانستأصلهم ولا نمحو آثارهم .

ثم أرشده إلى ما يفعل بهم إذا لحقه أذاهم فقال :

(ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) أى ادفع الأذى عنك بالخصلة التى هى أحسن بالإغضاء والصفح عن جهلهم والصبر على أذاهم وتكذيبهم بما أتيتهم به من عند ربك ، ونحن أعلم بما يصفوننا به و ينحلونه إيانا من الاختلاق والأكاذيب

و بما يقولون فيك من السوء وعجز القول ومجازوهم على ما يقولون ، فلا يحزننك ذلك واصبر صبرا جميلا .

ونحو الآية قوله : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » .

روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال فى الآية : « يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه فيقول له : إن كنت كاذبا فإنى أسأل الله أن يغفر لك ، و إن كنت صادقا فإنى أسأل الله أن يغفر لى » .

ولما أدب سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالحسنى أرشده إلى ما به يقوى على ذلك فقال :

(وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك ربّ أن يحضرون) أى وقل : ربّ ألتجئ إليك من أن يصل إلىّ الشياطين بوساوسهم ، وأن يبعثوا إلىّ أعداءك لإيذائى ، وهكذا يدعو المؤمنون فإن الشيطان لايصل إليهم إلا بأحد هذين الأمرين .

و إذا انقطع العبد إلى مولاه وتبتل إليه وسأله أن يعيذه من الشياطين استيقظ قلبه وتذكر ربه فيما يأتى و يذر، ودعاه ذلك إلى التمسك بالطاعة وازدجر عن المعصية .

وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم أن تحضره الشياطين فى عمل من أعماله ولا سيما حين الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل .

أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه والبيهقى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولها عند النوم خوف الفزع : بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، قال فكان ابن عمرو يعلمها من بلغ من أولاده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرا لايعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها فى عنقه » .

وأخرج أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال : « يا رسول الله إنى أجد وحشة ، قال: إذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فإنه لايحضرك وبالحرى لايضرك » .

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن تتخبطنى الشياطين عند الموت » .

ثم أخبر عما يقوله الكافرون حين معاينة الموت من سؤال الرجعة إلى الدنيا ليصلحوا ما كانوا قد أفسدوا حال حياتهم فقال :

( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت ) أى ولا يزال الكافر يجترح السيئات ولا يبالى بما يأتى و بما يذر من الآثام والأوزار ، حتى إذا جاءه الموت وعاين ما هو قادم عليه من عذاب الله ندم على ما فات وأسف على ما فرط فى جنب الله وقال : رب ارجعنى إلى الدنيا لأعمل صالحا فيما قصرت فيه من عبادتك وحقوق خلقك .

وخلاصـــة ذلك — إنه حين الاحتضار يعاين ما هو مقبل عليه من العذاب فيتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليصلح ما أفسد و يطيع فيما عصى .

ونحو الآية قوله : « وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » وقوله : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا » وقوله : « وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ » وقوله : « وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ؟ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » .

ومن كل هذا تعلم أنهم يطلبون الرجعة حين الاحتضار، وحين النشور، وحين العرض على الملك الجبار، وحين يعرضون على النار وهم فى غمرات جهنم، فلا يجابون إليها فى كل حال .

( كلا إنها كلمة هو قائلها ) أى إنا لانجيبه إلى ما طلب، لأن طلبه الرد ليعمل صالحا هو قول فقط ولا عمل معه وهو كاذب فيه، فلو ردّ لما عمل كما قال : «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » .

( ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ) أى ومن أمامهم حاجز يحول بينهم و بين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم القيامة .

وفى هذا تيئيس لهم من الرجوع أبدا، لأنهم إذا لم يرجعوا قبل يوم القيامة، فهم بعدها لايرجعون أبدا، لما علم أنه لارجعة بعد البعث إلا إلى الآخرة .

---

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ : رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) .

## شرح المفردات

الصور واحدها صورة نحو بسر و بسرة : أى نفخت فى الأجساد أرواحها ، ولا يتساءلون: أى لايسأل بعضهم بعضا ، موازينه أى موزوناته وهى حسناته ، المفلحون: أى الفائزون ، خسروا أنفسهم : أى غبنوها ، تلفح : أى تحرق ، كالحون: أى عابسون متقلصو الشفاه ، الشقوة والشقاوة : سوء العاقبة ، وهى ضد السعادة ، اخسئوا : أى اسكتوا سكوت ذلة وهوان ، سخريا: أى هزوا ، ذكرى: أى خوف عقابى.

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أن وراء الرجوع إلى الدنيا حاجزاً إلى يوم القيامة — أعقب ذلك بذكر أحوال هذا اليوم فبين أنه عند البعث و إعادة الأرواح فى الأجسام لا تنفع الأحساب ولا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ، وأن من رجحت حسناته على سيئاته فاز ونجا من النار ودخل الجنة ، ومن ثقلت سيئاته على حسناته خاب وهلك وأدخل النار خالدا فيها أبدا ، وكان عابس الوجه متقلص الشفتين من شدة الاحتراق ، وأنه يقال لأهل النار توبيخا لهم على ما ارتكبوا من الكفر والآثام : أليسوا قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت عليكم الكتب؟ فيقولون بلى، ولكنا لم ننقد لها ولم نتبعها فضللنا ، ربنا اردنا إلى دار الدنيا ، فإن نحن عدنا فإنا ظالمون مستحقون العقوبة ، فيجيبهم ربهم : امكثوا فى النار صاغرين أذلاء ولا تعودوا إلى سؤالكم هذا ، إنكم كنتم تستهزئون بعبادى المؤمنين وكنتم منهم تضحكون ، إنهم اليوم هم الفائزون جزاء صبرهم على أذاكم واستهزائكم بهم .

## الإيضاح

( فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ) أى فإذا أعيدت الأرواح إلى الأجساد حين البعث والنشور ، لا تنفعهم الأنساب ، لأن التعاطف يزول ، والود

يختفى ، لاستيلاء الدهشة والحيرة عليهم واشتغال كل امرئ بنفسه كما جاء فى قوله : « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ » .

( ولا يتساءلون ) أى ولا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ، لاشتغاله بأمر نفسه كما قال : « وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً » وما جاء فى بعض الآيات من إثبات التساؤل بينهم كقوله : « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ » فإنما هو عند القرار فى الجنة والقرار فى النار .

ثم شرع يبين أحوال السعداء وأحوال الأشقياء حينئذ فقال :

( فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ) أى فمن رجحت موزونات أخلاقه وأعماله فأولئك هم الفائزون بكل مطلوب ، والحائزون لكل مرغوب .

(ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) أى ومن ثقلت سيئاته على حسناته فأولئك الذين خابوا وآبوا بالصفقة الخاسرة ، إذ هم دسّوا أنفسهم باسترسالهم فى الشهوات وفعل الموبقات .

( فى جهنم خالدون ) أى ومآلهم أن يمكثوا فى جهنم لا يخرجون منها أبدا .

ثم وصف حال النار وحالهم فيها فقال :

( تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ) أى تحرق النار وجوههم وهم فيها متقلصو الشفاه من أثر ذلك اللفح .

وإنما خص الوجوه من بين باقى الأعضاء ، لأنها أشرفها ، فذكر ما ينوبها من ألم ويلحقها من أذى يكون أزجر عن المعاصى التى تصل بهم إلى النار .

أخرج ابن مردويه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى (تلفح وجوههم النار) تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم .

ثم ذكر ما يقال لهم حينئذ توبيخا وتقريعا وتذكيراً لما به حق عليهم العذاب

( ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ) أى قد أرسلت إليكم الرسل

وأنزلت عليكم الكتب وأزلت عنكم الشبه ، ولم يبق لكم حجة كما قال : « لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » وقال : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » فكذبتم بها وأعرضتم عنها وآذيتم من جاء بها .

ونحو الآية قوله : « كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ » .

ثم ذكر جوابهم عن ذلك فقال .

( قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ) أى قالوا قد قامت علينا الحجة ولم ننقد لها لسوء استعدادنا وتغلُّب شهواتنا ، ولما دسّينا به أنفسنا من الآثام والمعاصى ، ومن ثم ضللنا طريق الهدى ولم نتبع الحق .

ونحو الآية قوله : « فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » .

والخلاصة — إنا كنا نعرف الحق ولكن العادة وخشية الناس ملكت علينا أمرنا فلم نقدر على الخلاص مما نحن فيه ، وما مثلنا إلا مثل شاربى الخمر والتَّبَعْ والمولَعين بحب الكبرياء والعظمة والمغرمين بالإسراف ، فإنهم يعرفون أضرارها ثم لا يجدون سبيلا إلى تركها ولا للبعد عنها .

و بعدئذ حكى دعاءهم ربَّهم أن يخرجهم منها: وقولهم فإن عدنا كنا ظالمين فقال :

( ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ) أى قالوا ربنا أخرجنا من النار وارددنا إلى الدنيا ، فإن عدنا إلى مثل ما سلف منا من الشرور والآثام كنا ظالمين لأنفسنا جديرين بالعقوبة .

ثم ذكر ما أجيبوا به عن طلبهم هذا فقال :

( قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ) أى قال امكثوا فيها أذلاء صاغرين واسكتوا ولا تعودوا إلى مثل سؤالكم هذا ، فإنه لا رجعة لكم إلى الدنيا ، وإنما يكلمنى من سمَتْ نفسه إلى عالم الأرواح ، ولبس رداء الخوف والخشية من ربه ، واحتقر الدنيا وشهواتها وعزف عنها لما يرجوه من ربه من ثواب عميم ونعيم مقيم .

ثم بين السبب فيما نالهم من العذاب فقال :

( إنه كان فريق من عبادى يقولون : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ) أى إن فريقا من عبادى ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فى الدنيا يقولون : ربنا آمنا بك وبرسلك وبما جاءوا به من لدنك ، فاستر زلاتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا تخزنا يوم العرض ، ولا تعذبنا بعذابك ، فإنك أرحم من رحم أهل البلاء .

(فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون) أى فتشاغلتم بهم ساخرين منهم ودأبتم على هذا حتى نسيتم ذكرى ولم تخافوا عقابى ، وكنتم تضحكون منهم استهزاء بهم .

والخلاصة — إنكم أضفتم إلى سيئاتكم ، الاستهزاء بمن يفعلون الحسنات ، ويتقربون إلى رب الأرض والسموات ، روى أنها نزلت فى كفار قريش وقد كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كبلال وعمار وصهيب .

ونحو الآية قوله : «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ» .

ثم ذكر ما جازى به أولئك المستضعفين فقال :

( إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ) أى إنى جزيتهم بصبرهم على الأذى والسخرية بهم — بالفوز بالنعيم المقيم .

والخلاصة — إنهم صبروا فجوزوا أحسن الجزاء .

---

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا

لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) .

## شرح المفردات

اللبث: الإقامة ، العادّين: الحفظة العادين لأعمال العباد وأعمارهم ، والعبث: ماخلا من الفائدة ؛ الحق: أى الثابت الذى لايبيد ولا يزول ملكه ، والعرش : هو مركز تدبير العالم ، ووصفه بالكريم لشرفه ، وكل ماشرف فى جنسه يوصف بالكرم كما فى قوله : «وَزَرْعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ» وقوله : «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» يدعو : يعبد ، حسابه : أى جزاؤه .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر إنكارهم للبعث وأنهم لا يعترفون بحياة إلا ما كان فى هذه الدنيا وأنه بعد الفناء لا حياة ولا إعادة ـ ذكر هنا أنهم بعد أن يستقروا فى النار ويوقنوا أنهم مخلدون فيها أبدا ، يسألون سؤال تقريع وتوبيخ عن مدة لبثهم فى الأرض ، ليستبين لهم أن ماظنوه أمداً طويلا يسير بالنسبة إلى ما أنكروه ، وحينئذ يزدادون حسرة وألما على ما كانوا يعتقدون فى الدنيا حين رأوا خلاف ما ظنوا ، ثم بين بعدئذ ما هو كالدليل على وجوده وهو تمييز المطيع من العاصى ، ولولاه لكان خلق العالم عبثا ، تنزه ربنا عن ذلك . ثم أتبع هذا بالرد على من أشرك معه غيره وأنذره بالعذاب الأليم ، ثم أمر رسوله أن يطلب منه غفران الذنوب وأن يثنى عليه بما هو أهله .

# الإيضاح

( قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ ) أى قال الملك المأمور بسؤالهم : كم لبثتم فى الأرض أحياء ؟

( قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ) فقد نسى هؤلاء الأشقياء مدة لبثهم فى الدنيا لعظيم ماهم فيه من البلاء والعذاب ، وقصّر عندهم الأمد الذى مكثوه فيها ، ما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا أنهم لم يمكثوا إلا يوما أو بعض يوم ، ولعل بعضهم يكون قد أقام بها الزمان الطويل والسنين الكثيرة .

( فاسأل العادّين ) أى فاسأل الحفظة العارفين لأعمال العباد وأعمارهم كما روى ذلك جماعة عن مجاهد .

( قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ) أى قال لهم الملك : ما لبثتم إلا زمنا يسيرا ، ولو كنتم تعلمون شيئا من العلم لعملتم على مقتضى ذلك ، ولما صدر منكم ما أوجب خلودكم فى النار ، ولما قلنا لكم : اخسئوا فيها ولا تكلمون .

روى مرفوعا « أن الله تعالى إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة كم لبثتم فى الأرض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، قال : لنعم ما أنجزتم فى يوم أو بعض يوم رحمتى ورضوانى وجنتى ، امكثوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول يا أهل النار : كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، فيقول بئسما أنجزتم فى يوم أو بعض يوم نارى وسخطى ، امكثوا فيها خالدين مخلدين» .

ثم زاد فى توبيخهم على تماديهم فى الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يرشد إلى حقية البعث والقيامة فقال :

( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون ) أى أظننتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا ؟ كلا ، بل خلقناكم لنهذبكم ونعلمكم ، لترتقوا إلى عالم أرقى مما أنتم فيه ، كما خلتم أنكم لاترجعون إلينا للحساب والجزاء .

وفى هذا إشارة إلى أن الحكمة تقتضى تكليفهم و بعثهم لمجازاتهم على ماقدموا من عمل وأسلفوا من سعى فى الحياة الدنيا .

ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال :

( فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ) أى تنزه ربنا ذو الملك والملكوت الثابت الذى لايزول والذى ليس هناك معبود سواه وهو ذو العرش الكريم الذى يدبر فيه نظام الكون علويه وسفليه وجميع ما خلق عن أن يخلق الخلق عبثا ، وأن تخلو أفعاله عن الحكم والمقاصد الحميدة ، وأن يكون له ولد أو شريك .

و بعد أن ذكر أنه الملك الحق الذى لا إله إلا هو أتبعه ببيان أن من ادعى أن فى الكون إلها سواه فقد ادعى باطلا وركب شططا فقال :

( ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه ) أى ومن يعبد مع ذلك المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، معبودا آخر لابيّنة له به ، فجزاؤه عند ربه وهو موفيه مايستحقه من جزاء وعقاب .

وفى ذلك من شديد التو بيخ والتقريع ما لايخفى .

(إنه لايفلح الكافرون) أى إنه لايسعد أهل الشرك ولا ينجيهم من العذاب .

وما ألطف افتتاح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بخيبة الكافرين وعدم فوزهم بما يؤملون !.

و بعد أن شرح أحوال الكافرين وجهلهم فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة ، أمر رسوله بالانقطاع إليه والالتجاء إلى غفرانه ورحمته بقوله :

( وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ) أى وقل أيها الرسول : رب استر علىّ ذنوبى بعفوك عنها ، وارحمنى بقبول توبتى وترك عقابى على ما اجترحت من آثام وأوزار ، وأنت ربنا خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته وتجاوز عن عقابه

إنك ربنا خير غافر ، وإنك المتولى للسرائر ، والمرجوّ لإصلاح الضمائر ، وصلّ ربّنا على محمد وآله .

أخرج البخارى ومسلم والترمذى وابن حبّان فى جماعة عن أبى بكر أنه قال يارسول الله علّمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال : « قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، وإنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

## خلاصة ما تضمنته السورة

### من الحكم والأحكام والآداب

( ١ ) فوز المؤمنين ذوى الصفات الفاضلة بالفوز والفلاح بدخول الجنات خالدين فيها أبدا .

( ٢ ) ذكر حال النشأة الأولى .

( ٣ ) خلق السموات السبع وإنزال المطر من السماء وإنشاء الجنات من النخيل والأعناب وذكر منافع الحيوان للانسان .

( ٤ ) قصص بعض الأنبياء كنوح وشعيب وموسى وهرون وعيسى عليهم السلام ، ثم أمرهم جميعا بأكل الطيبات وعمل الصالحات .

( ٥ ) لا يكلف الله عباده إلا بما فيه يسر وسجاحة .

( ٦ ) وصف مايلقاه الكافرون من النكال والوبال يوم القيامة وتأنيبهم على عدم الإيمان بالرسول ، وتفنيد المعاذير التى اعتذروا بها .

( ٧ ) ذكر ما أنعم به على عباده من الحواس والمشاعر .

( ٨ ) إنكار المشركين للبعث والجزاء والحجاج على إثبات ذلك .

( ٩ ) النعى على من أثبت الولد والشريك لله .

(١٠) دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ربه ألا يجعله فى القوم الظالمين حين عذابهم .

(١١) تعليم نبيه صلى الله عليه وسلم الأدب فى معاملة الناس ، وأمره أن يدعوه بدفع همزات الشياطين عنه .

(١٢) طلب الكفار العودة إلى الدنيا حين رؤية العذاب ، لعلهم إذا عادوا عملوا صالحا .

(١٣) وصف أهوال يوم القيامة و بيان مافيها من الشدائد .

(١٤) أوصاف السعداء والأشقياء .

(١٥) تأنيب الكافرين على طلبهم العودة إلى الدنيا وزجرهم على هذا الطلب .

(١٦) سؤال المشركين عن مدة لبثهم فى الدنيا و بيان أنهم ينسون ذلك .

(١٧) النعى على من عبد مع الله إلها آخر .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .